مكتبة الطفل العربي
٥
أميرةُ البَحْرِ الفِضّيّ
مَجدي صابر
دار الجيل
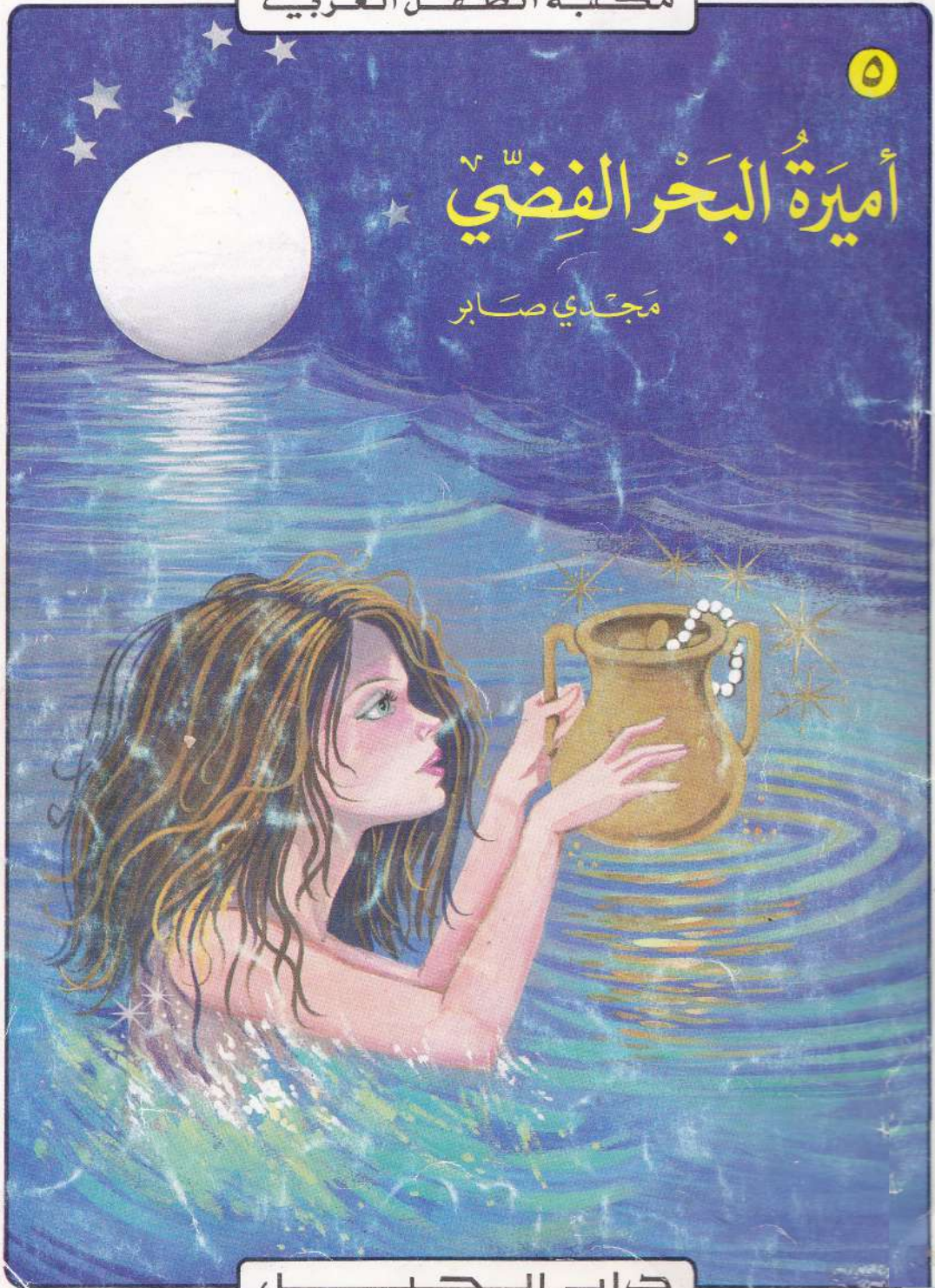
أميرَةُ البَحْرِ الفِضّيّ

تأليف
مَجدي صابر

دار الجيل
بيروت - القاهرة - تونس

تأليف : مَجدي صابر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصص الأطفال، كُتبتْ بأسلوبٍ أدبيٍّ ممتاز، يمتزجُ فيها الخيالُ مع الواقع. . والحلمُ مع الحقيقة، لتصنَعَ عالماً أخاذاً مُبهراً، يناسبُ عقلَ وسِنَّ قارِئها الصغيرِ، ويَفتح أمامَ عينيه أبواباً لا حصرَ لها من المعرفةِ والقِيَمِ التربويةِ والأخلاقِ النبيلةِ.

ونحن نفخرُ بأن تؤدي هذه المجْمُوعةُ القَصصِيّةُ المَكْتوبةُ والمُخْتارةُ بعِنايَةٍ بالِغةٍ، الغَرضَ منها تماماً، وتُحاوِل أن تَسدَ بعض النّقصِ في مكتبةِ الطّفلِ العربيّ، دونَ أن تَسْتهينَ بِعقلهِ، أو تَتَخطى قِيَمه وعاداته.

ونَأملُ أن نَكونَ قد حَقَّقْنا الهَدَفَ الّذِي نَرْجُوه من إصْدارِنا لهذه المَكتبةِ، وأن تَحْتلَ قِصَصُها مكانها اللائق في مكتبةِ كلّ طفلٍ عربيّ.

أميرةُ البَحْرِ الفِضّيّ

يُحْكَى أنَّهُ، قَبْلَ أَلْفِ عامٍ، عاشَ فارِسٌ عَظيمٌ ذاعَ صيتهُ فِي كُلِّ الأَرْكانِ، وٱشْتَهَرَ بِٱلبَسالَةِ والشَّجاعَةِ وكَمالِ الصِّفاتِ، وكانَ لَهُ ٱبْنٌ يُدْعَى «شَمْس الدِّين»، عَلَّمَهُ والِدُهُ فُنُونَ المُبارَزَةِ والقِتالِ، ورَبَّاهُ أحْسَنَ تَرْبيةٍ وأدّبَهُ أَدباً عَظيماً فكانَ خَيْرَ مِثالٍ لِوالِدِه «الفارِسِ العظيم».

وذاتَ يَوْمٍ أَشْرَفَ «الفارِسُ العظيمُ» عَلَى المَوْتِ، فأَوْصَى ولَدَهُ «شَمْس الدِّين» قائِلًا: «يا ولَدي.. لا تَبْخَلْ بِٱلخَيْرِ عَلَى مَنْ يَطْلبُهُ مِنْكَ.. ولا تَرْفَعْ سَيْفَكَ إلَّا دِفاعاً عَنِ الحَقِّ، ولا تَبْحَثْ فِي دُنْياكَ عَنْ ذهَبٍ ولا فِضَّةٍ. فَما دُمتَ صحيحاً مُعافى الجسَدِ والنَّفسِ، ٱشكُرِ الله عَلَى نِعْمَتهِ ولا تَطْمعْ فِي المَزيد.

وتُـوفِّيَ «الفـارِسُ العـظيمُ» فَبَكـاهُ ولَـدُهُ «شَمْس الـدِّين» طَـوِيلاً، وواراهُ التُّـرابَ.. ولَمْ يَسْتَطِعِ البقـاءَ فِي مَنْزِلِـهِ وحِيـداً فأَزْمَعَ عَلَى السَّفرِ والتَرْحَالِ.. وحَمَلَ مَعَهُ صُرَّةً بِهـا كَسَراتٌ مِنَ الخُبْـزِ، وقِـطْعـةُ جُبْنٍ، وقَليـلٌ مِنَ التَّمْــرِ وبَعْضُ المـاءِ.. ولَمْ يَحْمِلْ مَعَهُ ذهَباً ولا فِضّةً ولا مالاً، وغادَرَ قَرْيَتَهُ في المَساء.

واصَلَ «شَمْس الدِّين» سَفَـرَهُ عِدَّة أَيّـامٍ، فَكانَ يَسِيـرُ لَيْلاً ويَسْتَـريحُ نَهـاراً لِيَحْتَميَ مِن حَرارةِ الشَّمْسِ السَّـاخِنـةِ، ولَهيبِ الأَرْضِ القـاحِلَة. وأَوْشكَ زادُهُ عَلَى النَّفـادِ، فَلَمْ يَتبقَّ لَـهُ غَيْـرُ كِسْـرَةِ خُبْزٍ وقِـطْعَة جُبْنٍ صَغيـرةٍ، وتَمْرَةٍ واحِـدةٍ، وجُـرْعَـةِ مـاءٍ قَلِيلَةٍ.

وفِي نِهايَةِ اليَوْمِ السَّابعِ ظَهَرَ لِعَيْنَيْ «شَمْس الدِّين» عَلَى البُعْدِ شاطِئُ بَحْرٍ عَظيمٍ مُتلاطِمِ الأَمْواجِ، ضِفافُهُ فِضيّـةٌ بِلَوْنِ الفَجْـرِ، ورِمالُـهُ ذَهبِيّةٌ بِلَوْنِ الشَّمْسِ، ومِيـاهُـهُ مُنْحَـدِرَةٌ كـأَنَّهـا القِبابُ أوِ السَّحاب.

قالَ «شَمْس الدِّين» لِنَفْسِهِ «إِذا أَسْرَعْتُ نَحْوَ شاطِئِ هَـذا البَحْرِ العَظيمِ، أَمْكَنني بُلُوغُهُ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ، فأَسْتَقِلَّ مَرْكِبـاً لِعُبُورِهِ إِلَى شاطِئهِ الآخَر».

وفَجْأَةً شاهَدَ لِصَّيْنِ يَضْرِبانِ فَتاةً وَحيدَةً، ويُهَدِّدانِها بِسِكينِهِما لِيَسْتَوْلِيا مِنْها عَلَى حُلِيِّها ثُمَّ يَقْتُلاها، فأَسْرَعَ «شَمْس الدِّينِ» مُدافِعاً عَنِ الفَتاةِ، وقالَ لِلِّصَّيْنِ مُهَدِّداً: «إِبْتَعِدا عَنْ هَذِهِ الفَتاةِ واتْرُكا لَها حُلِيَّها وإلاَّ حَطَّمْتُ عِظامَكُما».

فَقالَ أَحَدُ اللِّصَّيْنِ: «دَعْنا نأْخُذْ حُلِيَّها وَنَتَقاسَمْها ثلاثَتُنا».

فاَنْدَفَعَ «شَمْس الدِّين» غاضِباً، وضَرَبَ اللِّصَّيْنِ بِقَبْضَتِهِ القَوِيَّةِ، فَحَطَّمَ فَكَّيْهما، فاَبْتَعَدا هارِبَيْن. وشَكَرَتْهُ الفَتاةُ عَلى مُرُوءَتِهِ، واَبْتَعَدَتْ بِلاَ كَلِمَةٍ أُخرى، فَلَمْ يَدْرِ «شَمْس الدِّين» مَنْ هِيَ ولا إِلَى أَيْنَ هِيَ ذاهِبَةٌ. ولَكِنَّهُ جَدَّ فِي السَّيْرِ نَحْوَ شاطِئِ البَحْرِ البَعيدِ، واللَّيْلُ قَدْ حَلَّ عَلَى المَكان. وشاهَدَا «شَمْس الدِّين» جُمُوعاً كَثيرَةً، رِجالاً وشُيُوخاً ونِساءً، وهُمْ يَسِيرُونَ جَماعاتٍ وأَفْراداً، ويُسْرِعُونَ فِي سَيْرِهِمْ، تِجاهَ شاطِئِ البَحْرِ البَعيدِ، كأَنَّهُمْ يَخْشُونَ أنْ يَفُوتَهُمْ مَوْعِدُ مَضْرُوب.

دُهِشَ «شَمْس الدِّين» واقْتَرَبَ مِن أَحَدِ السَّائِرِينَ وسَأَلَهُ: «لِماذا يُسْرِعُ هَؤُلاءِ النّاسُ، نَحْوَ الشَّاطِئِ البَعيد؟».

قـالَ الرَّجُـلُ فِي عَجلَةٍ: «كَيْفَ لا تَعْرِفُ أيُّهـا الشَّابُّ؟ إِنَّ الشَّاطِئَ البَعيدَ الَّذِي تَرَاهُ أَمامَكَ هُـوَ شاطِئُ «البَحْـرِ الفِضِّي». وفِيهِ تَعيشُ أَمِيرَةٌ بارِعَةُ الحُسْنِ فـاتِنَةُ الجَمـالِ، شَدِيـدَةُ السَّخاءِ والكَرَمِ، وهِيَ تَخْرجُ مِنَ البَحْـرِ لَيْلَةَ ٱكْتِمالِ القَمَـرِ فِي الفَجْر. فأَولُ مَنْ يَراها، تُهْديهِ جَرَّةً ذَهَبِيَّـةً مَمْلُوءَةً بِٱلـلآلِئِ المَسْحُورَةِ، فَيصِيـرُ صاحِبُهـا غَنِيًّا لِسـاعَتِهِ، وإنْ كـانَ مَرِيضـاً شَفَتْهُ الـلآلِئُ المَسْحُـورَةُ بِإذابتِهـا فِي المَاءِ، فَمَنْ شَـرِبَ هَذَا المـاءَ شُفِيَ فِي الحَـالِ مِن عِلَّتِهِ. ولِهَـذَا يُسْرِعُ النَّـاسُ مُهَرْوِلِينَ إِلَى شـاطِئِ البَحْرِ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ، عَسَى أنْ يَكُونَ أَحَـدهُمْ سَعيدَ الحَظِّ، فَيفُوزَ بِٱلجَرَّةِ الذَّهَبيَّةِ واللُّؤْلُؤِ المَسْحُور».

تَعَجَّبَ «شَمْس الـدِّين» مِمّا سَمِعَـهُ مِنَ الرَّجُـلِ الغَرِيبِ، وتَلفَّتَ حَوْلَهُ فشاهَدَ النّاسَ وقَدِ ٱبْتَعَـدُوا مُسْرِعينَ، نَحْـوَ شاطِئِ البَحْرِ البَعيدِ.

قـالَ «شَمْس الـدَّين» فِي نَفْسِـهِ «هَـذَا عَجِيبٌ. أَمِيـرَةُ «البَحْـرِ الفِضِّي» وجَـرْةٌ ذَهَبِيَّـةٌ ولُؤْلُؤٌ مَسْحُـورٌ. هَـذِهِ أَشْيـاءُ لَمْ أَسْمَـعْ عَنْها مِنْ قَبْـلُ، ولَمْ يُحَدِّثْني بِهـا والِدِي. فَـلأُسْرِعْ أنـا

أَيْضاً نَحْوَ الشَّاطِئِ، عَسَى أنْ أكُونَ سَعيدَ الحَظِّ فَأُشاهِدَ أَمِيرَة «البَحْرِ الفِضيّ»، وإنْ كانَتْ لَيْسَتْ بِي حاجَةٌ لِجَرَّتِها الذّهَبِيَّةِ أو لآلِئِها المَسْحُورَةِ. فَما أُرِيدُهُ مِنْ مالٍ يَجِبُ أنْ أَحْصَلَ عَلَيْهِ مِنْ كَدِّي وعَرَقي، أَمّا الصِحَّةُ والعافِيَةُ فَقَدْ أَنْعَمَ بِها الله عَلَيّ».

وعِنْدَما أَرادَ الجَدَّ فِي سَيْرِهِ، ناداهُ صَوْتٌ ضَعيفٌ قائِلاً: «أَنْتَ أَيُّها الشَّابُّ، يا مَنْ تُوشِكُ أنْ تُغادِرَ المَكانَ!».

تَلَفَّتَ «شَمْس الدِّين» حَوْلَهُ فِي حَيْرَةٍ، فشاهَدَ ٱمْرَأَةً عَجُوزاً، تَجاوَزَتِ الثَّمانينَ أو التِّسْعِينَ مِن عُمْرِها، وَجْهُها مُغَضَّنٌ وعَيْناها خابِيتانِ، ويَداها مَعْرُوقتانِ وساقاها لا تَقْوِيانِ عَلَى حَمْلِها.

إقْتَرَبَ «شَمْس الدِّين» مِنَ المَرْأَةِ العَجُوزِ وسأَلَها: «هَلْ نادَيْتِني أيّتُها العَجُوزُ الطَّيِّبَةُ؟».

قالَتِ العَجُوزُ بِوَهنٍ: «نَعَمْ يا وَلَدِي.. إنَّني ٱمْرَأَةٌ عَجُوزٌ ضَعيفَةٌ كَما تَرَى. وأَنا مُصابَةٌ بِكُلِّ العِلَلِ والأَمْراضِ، وأُرِيدُ أنْ أُشْفَى مِنْها، ولَكِنْ لَيْسَ لي أَهْلٌ أو أَقارِبُ، لِيَحْمِلُوني إِلَى شاطِئِ البَحْرِ البَعيدِ، فأبْلُغَهُ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ، عَسَى أنْ تَكُونَ

جَرَّةُ الأَميرَةِ مِنْ نَصيبي، فَيَشْفيني لُؤْلُؤها المَسْحُورُ مِن أَمْـراضي وأسْقامي.. وقَدْ رَفَضَ الجَمِيعُ مُساعَدَتي عَلَى بُلُوغِ الشَّاطِئِ، خَشْيـةَ تَعْطيلِهِمْ، فَهَـلْ لَكَ أنْ تُعينَنِي عَلَى بُلُوغِ مَقْصـدِي أيُّها الشَّابُّ الطَّيِّبُ؟».

فَكَّرَ «شَمْس الدِّين» لَحْـظةً، فَلَوْ أَنَّهُ سـاعَدَ العَجُـوزَ عَلَى بُلُوغِ شاطِئِ «البَحْرِ الفِضِّيّ»، لَوَصَل الاثْنانِ مُتأخِرَيْنِ، وما فازَ أَحَدُهُما بِجَرَّةِ الذَّهبِ أو اللُّؤْلؤِ المَسْحُورِ، أوْ رُؤْيةِ أَميـرَةِ «البَحْرِ الفِضيّ» وَهَذَا ما كان يَرْجُوهُ.

ولَكِنَّ «شَمْس الدِّين» تَذَكَّرَ حَديثَ والِـدِهِ، فَقالَ لِلْمَـرْأَةِ: «هيَّـا أيَّتُها العَجُـوزُ الطَّيِّبـةُ، سأُسـاعدُكِ عَلَى بُلُوغِ الشَّـاطِئِ، عَسَى أنْ تَكُـونَ الـلآلِئُ المَسْحُـورَةُ مِن نَصيبِـكِ فَتَشفيـكِ مِنْ أمْـراضِكِ، أمّـا أنا فَـلا أطْمَعُ فِي ذَهَبٍ أو لُؤْلُؤٍ، إلّا مـا حَصَلْتُ عَلَيْهِ بِكَدِّي».

قالَتِ العَجُوزُ: «ولَكِنِّي لا أسْتَـطيعُ السَّيْـرَ أيُّها الشَّـابُّ.. إن ساقيّ واهِنتانِ ولا تَقْويانِ عَلَى حَمْلي».

قـالَ «شَمْس الدِّين»: «لا تَحْـزَني لِـذَلِـكَ أيّتُهـا العَجُـوزُ الطَّيِّبةُ، سأحْمِلُكِ فَوْقَ كَتِفَيَّ، وسأعْدُو بِكِ نَحْوَ شـاطِئِ «البَحْرِ الفِضيّ»، عَسَى أنْ نَبْلُغَهُ قَبْلَ الآخَرين».

ورَفَـعَ العَجُوزَ فَـوْق كَتِفَيْهِ، فَكـانَتْ خَفيفَةً رَقيقَـةً، كأنّهـا طِفْلٌ صَغير. وأَخَذَ «شَمْس الدِّين» يَعْدُو بِٱلعَجُـوزِ تِجاهَ شـاطِئِ البَحْرِ البَعيدِ، لِيُمكنَهُ بُلُوغُهُ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْر. ولَكِنَّ الشّـاطِئَ كـانَ لا يزالُ بَعيـداً بَعيداً. وكُلّمـا جَرَى «شَمْس الـدِّين» نَحْوَهُ والعَجُوزُ فَوْقَ كَتفيْهِ، خُيِّل إِلَيْـه أنَّ الشَّاطِئَ زادَ بُعْـداً. وكُلَّما خَـطا بِٱلعَجُـوزِ بِضْعَ خُـطُواتٍ أَحَسَّ أنْ وَزْنَها زادَ فَـوْقَ كَتفَيْـه، حتّى كأنّها صارَتْ بِثِقْلِ الجِبال.

ولَكِنَّ «شَمْس الـدِّين» واصَلَ عَـدْوَهُ، وهُوَ يَـدْعـو اللَّه أنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ بُلُوغِ الشَّاطِئِ سَريعاً، وأنْ يُخَفِّفَ حِمْلَهُ، ولَكِنَّ ثِقلَ العَجُـوزِ فَوْقَ كَتِفَيْـه ظَلَّ يَـزيدُ ويَـزيـدُ، حتَّى لَمْ تَعُـدْ «لِشَمْس الـدِّين» قُدْرَةٌ عَلَى ٱحْتِمالِـهِ. فَتَـوقَّف لاهِثاً، وغَـرِقَ جَسَـدُهُ فِي العَرَقِ. وأنْزَلَ العَجُـوزَ مِن فَوْق كتفَيْـهِ لِيَسْتريـحَ، وصَدْرُهُ يَعْلُو ويَنْخَفِضُ بِشِـدَّةٍ، وقـالَ مُسْتَغْـرِبـاً: «هَـذَا عَجِيبٌ. عَجِيبٌ

جِدًّا. . كُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَحْمِلُ أَثْقالاً أَكْثَرَ مِن هَذِهِ العَجُوزِ عَشَراتِ المَرَّاتِ، فَلَمْ يَكُنْ يُدْرِكُني تَعَبٌ أو وَهنٌ، فماذا جَرَى لي؟».

قالَتِ العَجُوزُ «لِشَمْس الدِّين» مُشْفِقَةً: «إِذْهَبْ أنْتَ يا وَلَدِي، إنّنا مَعاً لَنْ نَسْتَطيعَ بُلُوغَ شاطِئَ البَحْرِ، ولَنْ يَفُوزَ أَحَدُنا بِٱلجَرَّةِ، فَدَعْني هُنا أمُوتُ فِي هُدُوءٍ، وأسْرِعْ أنْتَ عَسَى أنْ تكونَ الجَرَّةُ الذَّهَبِيّةُ ولآلِئُها المَسْحُورَةُ مِن نَصيبِكَ».

ولَكِنَّ «شَمْس الدِّين» قالَ: «لا أَيَّتُها العَجُوزُ الطَّيِّبَةُ. . إنّكِ وَحيدَةٌ مِسكِينَةٌ لا أَهْلَ لَكِ ولا أبْناءَ. . ومِنْ واجِبِ الجَميعِ مُساعَدتُكِ، فإنْ كانَ الباقُونَ قَدْ تَخَلَّوْا عَنْكِ، فإنَّني لَنْ أفْعَلَ ذَلِكَ مَهْما لاقَيْتُ مِن مَشَقَّةٍ وتَعَبٍ فِي حَمْلِكِ».

فَسأَلَتْهُ العَجُوزُ: «إِنَّني جائِعَةٌ وعَطْشى. . هَلْ لَدَيْكَ طَعامٌ وشَرابٌ؟».

وكانَ «شَمْس الدِّين» يَحُسُّ بِٱلجُوعِ والعَطَشِ فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِها، لِما بَذَلَهُ مِنْ مَجْهُودٍ مُضاعَفٍ، ولَمْ يَكُنْ ما فِي صرَّتِهِ مِن طَعامٍ وماءٍ قَليلٍ يَكْفيهِ هُوَ والعَجُوزَ، ولَكِنَّهُ قالَ لَها:

«نَعَمْ أيّتُها المَرْأةُ الطَّيِّبةُ، إنَّ لَدَيَّ كِسْرَةَ خُبْزٍ صَغيرَةً وقِطْعَةَ جُبْنٍ وتَمْرَةً ورَشْفَة ماءٍ. . سَتَكُونُ مِنْ نَصيبكِ كُلُّها».

ووَضَعَ الطَعامَ والماءَ أمامَ العَجُوزِ، فأَكَلَتْ حَتَّى شَبِعَتْ، وشَرِبَتْ حَتَّى ٱرْتَوَتْ، رُغْمَ قِلّةِ الطَّعامِ والماء.

وحَمَلَ «شَمْس الدِّين» العَجُوزَ فَوْقَ كَتِفَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، فَكانَتْ لا تَزالُ ثَقِيلَةً ثقيلَةً، كأَنَّ جَسَدَها قَدْ صارَ حَجَراً أو كُتلَةً مِنَ الرَّصاصِ، أو كأنَّ قَدمَيْ «شَمْس الدِّين» صارتا كُتْلَةً مِنَ المَلْحِ الثَّقيلِ يَصْعَبُ تَحريكُهُما والسَّيْرُ بِهِما. ولَكِنَّ «شَمْس الدِّين» لَمْ يَتَراجَعْ عَنْ حَمْلِ العَجُوزِ وقالَ: «لِيَكُنِ اللهُ فِي عَوْني عَلى أَداءِ مُهِمَّتي الشَّاقّةِ، فَهُوَ المُسْتَعان». .

وأَخَذَ يَعْدُو بِٱلعَجُوزِ تِجاهَ شاطِئِ البَحْرِ، والعَجُوزُ تَزْدادُ ثِقْلاً عَلَى ثِقلٍ، ولَكِنَّ «شَمْس الدِّين» لَمْ يَسْمَحْ لِنَفْسهِ بِراحَةٍ، خَشْيَةَ أنْ تَفْقُدَ العَجُوزُ فُرْصَتَها فِي الوُصُولِ إلَى اللُّؤْلُؤِ المَسْحُورِ الشَّافِي.

وأَخِيراً بَلَغَ «شَمْس الدِّين» والعَجُوزُ شاطِئَ البَحْرِ، وكانَتْ جُمُوعُ النَّاسِ هُناكَ لا يُحْصيها عَدٌّ، وكانُوا يَتَقاتَلُونَ،

وكُـلٌّ مِنْهُمْ يَبْغِي أنْ يَكُـونَ أولَ الـواقِفينَ، حَتَّى يَفُـوزَ بِـٱلنَّـظْرَةِ الأولَى إِلَى أَميرَةِ «البَحْرِ الفِضيّ» عِنْـدَ خُرُوجِهـا، فَتَصيرَ الجَـرَّةُ الذّهَبِيَّةُ مُلْكاً خالِصاً لَهُ.

جاهَدَ «شَمْس الـدِّين» حَتَّى ٱخْتَرَقَ جُمُـوعَ الواقِفينَ عَلَى الشَّاطِئِ، ووضَعَ العَجُوزَ فِي المُقَدِّمَةِ، عَسَى أن تَكُونَ أولَ مَنْ تَقَـعُ عَيْنـاهـا عَلَى أميـرَةِ «البَحْـرِ الفِضيّ»، فَتَفُـوزَ بِـٱلـلآلِئِ المَسْحُـورَةِ الشَّافِيـةِ، وٱنْتَحَى رُكْناً فِي مُؤَخّـرَةِ الجَمْعِ ونـامَ مِنْ شِدَّةِ تَعَبه.

ولَمَحَ القَمَرَ مُكْتَمِـلاً فِي صَفْحَةِ السَّمـاءِ، وأوْشَكَ الفَجْـرُ عَلَى الطُّلُوعِ، فَحَبَسَ النَّاسُ أنْفـاسَهُمْ، وكُلٌّ مِنْهُمْ يُمَنِّي نَفْسَـهُ بِأَنْ يَكُونَ صاحِبَ الجَرَّةِ الذَّهَبيّةِ ولُؤلئِها المَسْحُور. ولَكِنَّ الفَجْرَ أَشْـرَقَ بِضيائِـهِ، وغَمَرَ الشَّـاطِئ وصَفْحَةَ البَحْـرِ بِنُورِهِ الفِضيِّ، ولَمْ تَظْهَرْ أَميرَةُ البَحْرِ أو يَبْدُو لَها أثَرٌ فِي أيِّ مَكانٍ.

وتَعَجَّبَ الواقِفُونَ وتَساءَلُوا فِي حَيْرَةٍ، لِماذا لَمْ تَظْهَرْ أَميرَةُ البَحْرِ مِنْ مَمْلَكَتِها فِي قاعِهِ. وقـالَ البَعْضُ: «لَعَلَّ «أميـرَةَ البَحْرِ الفِضيِّ» قَدْ ماتَتْ، فَهِيَ لَمْ تَظْهَرْ مُنْذُ شُهُورٍ كَثيرَةٍ».

وقـالَ آخَرُونَ: «رُبَّمـا لَمْ يَعُـدْ لَـدَيْهـا مَـزِيـدٌ مِن الجِـرارِ الذَّهَبيَّةِ والـلآلِئِ المَسْحُورَةِ، وهَـذَا ما يَمْنَعُهـا مِنَ الظُّهُـورِ مُنْذُ فَتْرَةٍ».

وحِينَ وُلِـدتِ الشَّمْسُ فِي صَفْحَـةِ السَّمـاءِ، أدْرَكَ النّـاسُ عَـدَمَ جَدْوَى بَقـائِهِمْ، فٱنْسَحَبُـوا مُتَذَمِّـرين غاضِبينَ، بِسَبَبِ مـا بَذَلُوهُ مِنْ جُهْدٍ ووَقْتٍ بِلا طائِلٍ.

* * *

وتَـوسَّطتِ الشَّمْسُ قَلْبَ السَّمـاءِ، وأَرْسَلَتْ أَشِعَّتَها حـامِيةً ساخِنةً فَوْقَ وَجْهِ «شَمْس الدِّين» فٱسْتَيقَظَ مَدْهُوشاً، ولَمْ يُشاهِـدْ أَحَداً مِنَ النّاسِ عَلَى الشَّاطِئِ، حَتَّى ولا المَرْأَةَ العَجُوز. فَقالَ فِي نَفْسِهِ «لا بُدَّ أنّ أَميرَةَ البَحْرِ قَدْ ظَهَرَتْ لِلنَّاسِ، ولَعَلَّ المَـرْأةَ العَجُـوزَ كَانَتْ هِيَ سَعيـدةَ الحَظِّ، وفازَتْ بِـٱللآلِئِ المَسْحُـورَةِ فَشُفِيَتْ مِن أسْقـامِها، وٱسْتَـطاعَتْ مُغـادَرَة المَكـانِ وَحْـدَهـا. . حَمْداً للهِ أَنّني ٱسْتَطَعْتُ مُساعَدَتها».

وأَشْرَقَ وَجْهُ «شَمْس الدِّين» وأَحَسَّ بِٱلابْتِهاجِ لِأَنّهُ أَسْدَى صَنيعـاً لِلْعَجُوزِ المِسْكينَـةِ، ثُمَّ شَعَرَ بِـٱلجُوعِ والـظَّمـأ أَشَـدَّ مـا

يَكُـونانِ وقـالَ فِي نَفْسهِ: «فَـلأَبَحَثْ عَن كِسرةِ خُبْـزٍ صَغيرَةٍ، أوْ قِـطْعَـةِ جُبْنٍ وقَـطْرَةِ مـاءٍ قَـدْ تَكُـونُ العَجُـوزُ الـطَّيِّبَـةُ أبْقَتهـا في الصُّرّةِ».

وفَتَـحْ صُرَّتَـهُ فَتَعَجَّبَ مِمّا شـاهَدَ بِـداخِلِهـا، فَقَـدْ كـانَتْ مَمْلُوءةً بِـأَنْواعٍ مُخْتَلِفَـةٍ مِنْ أَطايبِ الـطَّعـامِ والفـاكِهَـةِ: دَجـاجٌ مُحَمَّرٌ ولَحْمٌ مَشْوِيٌّ، وتَمْرٌ وكمثرَى وتُفـاحٌ، وماءٌ مُحلًّى بِـطَعْمِ الوَرْد. فَقالَ فِي نَفْسهِ: «لا بُدَّ أنّها العَجُوزُ الطَّيبةُ. وقَـدْ وضَعَتْ هَذا الطَّعامَ والشَّرابَ في صُـرَّتي بَعْدَ أنْ نـالَتِ الشِّفَاءَ. شُكْـراً لَـكِ أيّتُهـا العَجُـوزُ الـطَّيِّبَـةُ، فَلَمْ أفْعَـلْ مـا أسْتَحقُّ بـهِ كَـرَمَـكِ وهَدايِاكِ».

وأخَذَ يأكُلُ بِسُرُورٍ حَتَّى شَبِـعَ مِنَ الطَّعامِ الشَّهِيِّ، الَّـذِي لَمْ يـطْعَمْ مِثلَهُ فِي حَياتِـهِ، ثُمْ ٱرْتَوى بِـٱلماءِ الـطَّيِّبِ، الَّذِي لَمْ يَذُقْ لَهُ مَثيلاً مِن قَبْل.

ونَهَضَ واقِفـاً وهُوَ يَقـولُ: «الآنَ عَلَيّ أنْ أعْبُرَ هَـذَا البَحْرَ العَظيمَ، تُرَى مِنْ أيْنَ سـأَحْصلُ عَلَى مَـركبٍ أو سَفينَةٍ تَعْبـرُ بي ضِفافَهُ؟».

وفَجْأَةً ظَهَرَتْ لَهُ عَلَى البُعْدِ سَفينَـةٌ عَظيمَـةٌ، كانَتْ تَمخُـرُ عُبَـابَ «البَحْرِ الفِضيِّ». وكـانَتْ سَفينَةً ضَخْمـةً جُدْرانُهـا تَبْـرقُ كـأَنَّها مَصْنُـوعَةٌ مِنَ الـذَّهَبِ، وأشْرِعَتُهـا العَظيمَـةُ تَضْوِي كـأَنَّها مَنْسُـوجَةٌ مِنْ خُيُـوطِ الفِضّةِ، ودفتُهـا تَلْمَـعُ كـأَنَّهـا مَنْحُـوتَـةٌ مِنَ العاجِ ، ولَمْ يَكُنْ فَوْقَ سَطْحِها إِنْسانٌ أو حَيَوانٌ، بَـلْ كانَ فـارِغاً كأنَّما تسيِّرها الأَمْواجُ، وتَقُودُها الرِّياح .

إِقْتَرَبَـتِ السَّفينَةُ العَظيمَةُ مِنَ الشَّاطِئِ، وَوَقَفَتْ غَيْر بعِيـدَةٍ عَنْ «شَمْس الـدِّين»، كأنّهـا تَدْعُـوهُ لِلرُكوب. فـأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الماءِ مَدْهُوشاً، وسَبَحَ حَتَّى بَلَغَ السَّفينَة العَظيمَةَ، فَتَسَلَّق حِبـالَها وصارَ فَوْقَ سَطْحِها. وتـأَمَّلَ السَّفينـةَ فَوَجَـدَها أعْـظَمَ وأكْبَرَ مِمّـا قَدَّرَ. . خشَبُها مِنَ الأبنُـوسِ وَسلاسِلُهـا مِنَ الفِضَّةِ وحِبـالُها مِنَ الحَـريرِ المَجْـدُولِ. . ولا يَقِلُّ ثَمَنُهـا عَنْ أَلْفِ أَلْفِ دِينـارٍ، ولا يَمْلِكُ مِثْلَها مَلِكٌ أو سُلْطانٌ.

قـالَ شَمْس الـدِّين مَـدْهُـوشـاً: «هَـذَا عَجِيبٌ، أَيْنَ ذَهَبَ أصْحابُ هَذِهِ السَّفينَـةِ العَظيمَـةِ، وكَيْفَ تَرَكُـوها وَحْـدَها تَمخُـرُ عُبَـابَ البَحْرِ بِـلا قائِـدٍ أو مُرْشِـدٍ، وكَيْفَ سَيُمْكِنُني عُبُورُ البَحْـرِ

بِهـا، ولا دِرايَةَ لي بِمِـلاحَةِ السُّفُنِ وعُبُـورِ البِحـارِ، أوْ مَـراصِـدِ النُّجُومِ وأَوْقاتِ هُبُوبِ الرِّياح ؟».

وقَبْـلَ أنْ يُكْمِلَ «شَمْس الـدِّين» عِبـارَتَـهُ تَهـادَتِ السَّفينَـةُ العَـظيمَةُ مُبْحِـرَةً إِلَى قَلْبِ «البَحْرِ الفِضيّ»، كـأنّما تَـدْفَعُهـا يَـدٌ خَفيّةٌ، غَيْرُ مَلْمُوسةٍ أو مَرْئيّةٍ.

تَعَجَّبَ «شَمْس الـدِّين» وفَكَّرَ فِي نَفْسِـهِ، بِأنّـهُ رُبَّمـا كـانَ لِلسَّفينَةِ بَحّارتُها، يَقُودُونَها بِمَجاديفِهِمْ مِن قَلْبِها، فأَسْـرَعَ هابِـطاً إِلَى قـاعِها. ولَكِنَّـهُ لَمْ يَجِدْ فِيهـا مَخْلُوقاً، بَـلْ شاهَـدَ حُجُـراتٍ عَديدَةً سَتـائِرُهـا مِنْ سُبُوكِ الـذَّهبِ وثُريّـاتُها مِنْ حبّـاتِ اللُّؤْلؤِ، ومَفْرُوشَةٌ بِٱلأَسِرَّةِ الفـاخِرَةِ، وأغْـطِيَتُها مِنَ الحَـريرِ، ووسَـائِدُهـا مَحْشُوَّةٌ بِريشِ النَّعام . وكانَتْ هُناكَ سِلالٌ لا حَصْـرَ لَها، مَليئَـةٌ بِـٱللالِئِ واليـاقُوتِ والمُـرْجـانِ، وبِجَـواهِـرَ مِنْ كُـلِّ الأَصْنـافِ والأَنْـواع . كَمَا وَجَـدَ أطْعِمَةً وفَـواكِهَ كَثيـرَةً فَوْقَ المَـوائِدِ، كـأَنَّ هُناكَ ولِيمَةً عَظيمَةً.

إِزْدَادَتْ دَهْشَةُ «شَمْس الدِّين» أكْثَـرَ وأكْثَرَ، وظَنَّ أنّـهُ فِي حُلُمٍ، وقالَ فِي نَفْسِهِ «لَمْ يَعُدْ بِإِمْكـاني ما أَفْعَلُهُ، فَـلا أنا قـادِرٌ

عَلَى إيقافِ هَذِهِ السَّفينَةِ والعَوْدَةِ بِها إِلَى الشَّاطِئِ، ولا أنا بِمُسْتَطيعٍ مَعْرِفَةَ وِجْهَتِها أوْ صاحِبِها، فَلأَحْصَلْ عَلَى قَليلٍ مِنَ الرَّاحَةِ، فَلَسْتُ أعْرِفُ ما سَتأْتي بِهِ السَّاعاتُ القادِمَة».

ورَقَدَ فَوْقَ أَحَدِ الأَسِرَّةِ العَديدَةِ فِي المَكانِ، ونامَ فِي الحَال .

وعِنْدَما ٱسْتَيْقَظَ أَحَسَّ بِشَيْءٍ عَجيبٍ، فَقَدْ كانَتِ السَّفينَةُ تَهْتَزُّ بِشِدَّةٍ، وتَميلُ عَلَى جَنْبِها الأَيْمَنِ، ثُمّ تَميلُ عَلَى الجَنْبِ الأَيْسَرِ، كأَنَّها تُوشِكُ عَلَى الغَرَقِ، فأَسْرَعَ يُغادِرُ مَكانَهُ إِلَى سَطْحِها. وَفِي الأَعْلَى فاجأَتْهُ عاصِفَةٌ عاتِيَةٌ، فَٱلرِّيحُ تَكادُ تُمَزِّقُ أَشْرِعَةَ السَّفينَةِ، والأَمْواجُ تَضْرِبُها بِعُنْفٍ وتُوشِكُ أنْ تُحَطِّمَ جُدْرانَها، والمَطَرُ يَهْطِلُ كأنّهُ السَّيْلُ، والسَّفينَةُ تَحْتَ رَحْمَةِ العاصِفَةِ، كأَنَّها لُعْبَةٌ صَغيرَةٌ فِي قَبضَةِ وَحْشٍ كاسِرٍ.

وٱمْتَلأَ جَوْفُ السَّفِينَةِ بِٱلماءِ، وأشْرَفَتْ عَلَى الغَرَقِ، و«شَمْس الدِّين» حائِرٌ مُضْطَرِبٌ لا يَدْرِي ما يَفْعلهُ. وٱنْهارَتْ أشْرِعَةُ السَّفينَةِ وتَمَزَّقَتْ، وتَحَطَّمَتْ أجْنابُها وتَكَسَّرَتْ، ومَلأَ جَوْفَها الماء. فَبَدأتِ السَّفينَةُ تَغْرَقُ فِي البَحْرِ كأنّها حَجَرٌ ثَقيلٌ.

فَقَفَزَ «شَمْسُ الدِّين» إِلَى الماءِ ناجِياً بِنَفْسِهِ، وبَحثَ عَنْ خَشَبَةٍ طافِيَةٍ يَتَعلَّقُ بِها فَلَمْ يَجِدْ، وصارَعَتْهُ الأَمْواجُ الهائِلَةُ وغَطَّتْهُ، فأَحَسَّ «شَمْس الدِّين» بِٱلغَرَقِ، ولَمْ تُسْعِفْهُ قَوَّتُهُ وحيلَتهُ، فأَسْلَمَ أَمْرَهُ إِلَى الله وأَغْمَضَ عَيْنَيْه يائساً مِن نجاته.

* * *

أَفاقَ «شَمْس الدِّين» وفَتَحَ عَيْنَيْهِ، وتَطَلَّعَ حَوْلَهُ مَدْهُوشاً، فَوَجَدَ نَفْسَهُ راقِداً فِي حُجْرَةٍ واسِعَةٍ كَقُصُورِ المُلُوكِ، حَوائِطُها مِنَ الفِضَّةِ وأَرْضِيَتُها مِنَ الذَّهَبِ، وعَلَيْها نُقُوشٌ بَديعَةٌ لأَسْماكٍ وحَيَواناتٍ بَحْرِيَّةٍ عَجيبَةِ الهَيْئَةِ وغَرِيبَةِ الأَشْكال. وَفِي الأَرْكانِ ٱرْتصَّتِ المَوائِدُ المَصْنُوعَةُ مِن البِلَّوْرِ، ومَقاعِدُها مِنَ العاج.

وتَنَبَّه «شَمْس الدِّين» إِلَى أَنَّهُ يَرْقُدُ فَوْقَ فِراشٍ لَيِّنٍ، كأَنَّ حاشِيَتَهُ يَجْرِي فِيها الماءُ الدَّافِئُ، ووِسادَتَهُ ذاتُ رائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، كأَنَّها مَغْمُوسَةٌ فِي المِسْكِ أَو العَنْبر..

تَعَجَّبَ «شَمْس الدِّين» وسَأَلَ نَفْسَهُ «أَيْنَ هُوَ»، وكانَ آخِرُ ما تَذَكَّرَهُ هُوَ غَرَقُ السَّفينَةِ العَجيبَةِ الَّتي ٱسْتَقَلَّها لِعُبُورِ «البَحْرِ الفِضِّيِّ»، ولَمْ يَدْرِ ما حَدَثَ لَهُ بَعْدَها.. وهَلِ ٱنْتَقَلَ إِلَى عالَمِ

المَوْتَى أم أنّه لا يَزالُ حيًّا. . أمْ هُوَ يَحْلُمُ حُلُماً مِن الأَحْلَام؟

وٱنْفَتَحَ بابُ الحُجْرَةِ الواسِعَةِ، وتَقَدّمَتْ مِنْهُ ثَلاثُ فَتياتٍ يَرْتَدِينَ مَلابِسَ عَلَى شَكْلِ الأَسْماكِ. . وكلٌّ مِنْهُنَّ تَحْمِلُ فِي يَدِها آنِيةً صَغيرَةً.

وَقَفَتِ الفَتَياتُ الثّلاثُ أمامَ «شَمْس الدِّين»، وناوَلَتْهُ الأولى آنيتَها، وكانَ بِها سائِلُ رَقْراقٌ عَجيبٌ، كأنّهُ الفِضّةُ المُذابَةُ. وقالَتِ الفَتاةُ «لِشَمْس الدِّين»: «أَرْجُوكَ. . تَناوَلْ هَذَا الدَّواءَ فَهُوَ يُساعِدُكَ عَلَى تَمامِ شفائِكَ».

سَأَلَها «شَمْس الدِّين» فِي عَجَبٍ: «وما هُوَ هَذَا الدَّواءُ؟».

أَجابَتْهُ الفَتاةُ: «إنّهُ مَزيجٌ مِنَ اللآلِئِ المَسْحُورَةِ المُذابَةِ فِي زَيْتِ كَبِدِ الحُوتِ. . تَناوَلْهُ فَهُوَ أفْضَلُ دَواءٍ».

أَمْسَكَ «شَمْس الدِّين» بِٱلآنِيَةِ وشَرِبَ مُحْتَوياتِها عَنْ آخِرِها، وكانَ طَعْمُها غَريباً ولَكِنَّهُ مَقْبُولٌ. وتَقَدَّمَتِ الفَتاةُ الثّانِيةُ مِنْ شَمْس الدِّين، وناوَلَتْهُ آنيتَها الثّانِيَةَ قائِلَةً: «تَناوَلْ هَذَا العَصيرَ أيْضاً. . فَهُوَ سَيُساعِدُكَ عَلَى ٱسْتِردادِ قَوّتِكَ».

وكانَ فِي آنِيتَها سـائِلٌ أَصْفَـرُ، فَسأَلَ «شَمْس الـدِّين» عَمَّا تَحْـويهِ تِلْكَ الآنِيـةُ فأَجـابَتْهُ صـاحِبَتُها: «إنَّ فِيهـا عَصيـرَ بَعْضِ الأَعْشابِ البَحْرِيَّةِ، وهِيَ مُفيدَةٌ ومُغذِّيَةٌ».

تناوَلَ «شَمْس الدِّين» الآنِيَةَ وشَرِبَ ما فِيهَا، وكـانَ طَعْمُها مَقْبُولاً.

وتَقَدمَتِ الفَتاةُ الثّالِثَةُ مِنْ «شَمْس الـدِّين»، وناوَلَتْـهُ آنيتَها قائِلَةً: «تَناوَلْ هَـذِهِ الفَواكِـهَ البَحْرِيـةَ، فَهِيَ أفْضَلُ طَعـامٍ يُمْكِنُ تَقْدِيمُهُ لِلْغُرباء».

وكانَ فِي آنيتَها مَزِيجٌ عَجيبٌ مِنَ الفَـواكِهِ الَّتِي لَمْ يُشـاهِدْ «شَمْس الـدِّين» مِثْلَها مِنْ قَبْـلُ، وكانَتْ خَلِيـطاً مِنْ نَجْمِ البَحْـرِ ومِلْحِ البَحْرِ وفَواكِهَ بَحْرِيَّةٍ أُخْرى عَجيبَةٍ.

تَناوَلَ «شَمْس الدِّين» الآنِيَةَ وأكلَ مـا فِيها، وعِنْـدما ٱنْتَهى شَعَـرَ بِٱلصِّحـةِ والقُوَّةِ تَـدبُّ فِي عُرُوقـهِ، وبِٱلنَّشـاطِ يَسْـرِي فِي دِمائِهِ.

وتَـطَلَّعَ «شَمْس الـدِّين» إلَى الفَتيـاتِ الثَّـلاثِ مُنْـدَهِشـاً،

وسَأَلَهُنَّ مُتَحَيِّراً: «ولَكِنْ مَنْ أنْتُنَّ.. وأيْنَ أنا.. وماذا حَدَثَ بَعْدَ غَرَقِ السَّفينَةِ العَجيبَةِ؟».

لَمْ تُجِبِ الفَتياتُ الثَّلاثُ بِشَيْءٍ، وانْسَحَبْنَ فِي هُدوءٍ وغادَرْنَ الحُجْرَةَ، وتَرَكْنَ «شَمْس الدِّين» وقَدْ تضاعَفَتْ حَيْرَتُهُ وزادَ عَجَبُهُ.

وفَجْأَةً دَخَلَتِ الحُجْرةَ فَتاةٌ باهِرَةُ الجَمالِ، لَمْ تَقَعْ عَيْنُ «شَمْس الدِّين» عَلَى أَجْمَلَ مِنْها، فَكأنَّها القَمَرُ المُكْتَمِلُ فِي السَّماءِ، أو النُّجُومُ اللاَّمِعَةُ فِي اللَّيْلَةِ الحالِكَةِ السَّوادِ.. وَجْهُها مُسْتَديرٌ وَرْدِيُّ اللَّوْنِ، وعَيْناها خَضراوانِ بِلَوْنِ أَعْشابِ البَحْرِ، وشَعْرُها أَصْفَرُ كأنَّهُ خُيُوط الذَّهَب.

تَقَدَّمَتِ الفَتاةُ الفاتِنَةُ مِنْ «شَمْس الدِّين»، فَراقَبَها مَبْهُوراً، ولَمْ يَقْدِرْ عَلَى النُّطْقِ لِشِدَّةِ دَهْشَتِهِ وإعْجابه.

وقالَتِ الفَتاةُ بِصَوْتٍ كأنَّهُ تَغْريدُ الطُّيُورِ: «حَمْداً لِلَّهِ عَلَى سَلامَتِكَ يا «شَمْس الدِّين»، لَقَدْ أنْقَذْناكَ فِي اللَّحْظَةِ المُناسِبَةِ قَبْل أنْ تَغْرق».

تَمالَكَ «شَمْس الدِّين» نَفْسَهُ وسأَلَها: «ولَكِنْ مَن أنْتِ أيَّتُها الفَتاةُ الكَريمَةُ الجَميلَةُ؟».

إِبْتَسَمَتِ الفَتاةُ فأضاءَ وجْهُها كالْبَدْرِ المُنيرِ، وقالَتْ: «أَلَمْ تَعْرفني بَعْدُ. . إنَّني «أميرَةُ البَحْرِ الفِضيّ»».

تَعَجَّبَ «شَمْس الدِّين» ونَظَرَ إِلَى الفَتاةِ ذاهِلاً وقالَ: «ولَكِنْ. . كَيْفَ حَدَثَ هَذا. . لِماذا أَنْقَذتِني مِنَ الغَرَق؟».

جَلَسَتْ أميرَةُ «البَحْرِ الفِضِّيّ» عَلَى مِقْعَدٍ بِجوارِ فِراشِ «شَمْس الدِّين»، وقالَتْ: «سَأُخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ. . هَلْ تَذْكُرُ الفَتاةَ الَّتي كانَ اللِّصّانِ يَسْرقانِ حُلِيَّها ويُريدانِ قَتْلَها، فَأَنْقَذْتَها مِنْ أيْدِيهِما. . إنّها أنا».

تَطَلَّعَ «شَمْس الدِّين» إِلَى الأَميرَةِ حائِراً. وقالَتِ الأَميرَةُ: «وهَلْ تَذْكُرُ المَرْأةَ العَجُوزَ الَّتي حَمَلْتَها فَوْقَ كَتِفَيْكَ لِتُوصِلَها إِلَى الشَّاطِئِ، وأطْعَمْتَها مِنْ طَعامِكَ ورَوَيْتَها مِنْ مائِكَ بِالرَّغْمِ مِنْ جُوعِكَ وعَطَشِكَ وتَعَبِكَ؟».

أَجابَ «شَمْس الدِّين»: «نَعَمْ نَعَمْ أذْكُرها. . أيْنَ هِيَ؟».

رَدَّتْ أَمِيرَةُ «البَحْرِ الفِضيّ»: «إِنّها أنا أيْضاً».

تَطَلَّعَ «شَمْس الدِّين» نَحْوَ الأَمِيرَةِ مَذْهُولاً لا يُصَدِّقُ، ولا يَفْهَمُ شَيْئاً مِمّا تَقُولهُ، ولَكِنَّ الأَميرَةَ فَسَّرَتْ حَديثَها قائِلَةً: «مُنْذُ أَعْوامٍ بَعيدَةٍ بَعيدَةٍ وأنا أَخْرُجُ مِن قَلْبِ مَمْلَكَتي فِي البَحْرِ إِلَى الشَّاطِئِ، عِنْدَ اكْتِمالِ القَمَرِ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ مَرَّةً كُلَّ شَهْرٍ، فَمَنْ وقَعَتْ عَيْناهُ عَليّ قَبْلَ الآخَرينَ أهْدَيْتُهُ جَرَّةً ذَهَبيَّةً تُساوِي أَلْفَ دينارٍ، مَمْلُوءَةً بِاللآلِئِ المَسْحُورَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنْ كُلِّ الأَمْراضِ، ولا تُقَدَّرُ بِمالٍ.. فَمَنِ امْتَلَكَ الجَرَّةَ صارَ أَسْعَدَ إِنْسانٍ فِي العَالَمِ، لِأنّه امْتَلَكَ المَالَ والصِّحَّةَ.. وهَذا ما يَبْغيهِ كُلُّ إِنْسانٍ».

وسَكَتَتْ لَحْظَةً ثُمّ قالَتْ: «ولَكِنِّي وَجَدْتُ أنّ بَعْضَ النَّاسِ مِمَّنْ لا يَسْتَحِقُّونَ الجَرَّةَ الذَّهَبِيَّةَ أوِ اللآلِئَ المَسْحُورَةَ يَحْصُلُونَ عَلَيهِما، لِمُجَرَّدْ أَنَّهُمْ رَأَوْني قَبْلَ غَيْرِهِمْ، فَيأْخُذُونَ الجَرَّة واللآلِئَ ويَبِيعُونَها، ويُبَعْثِرونَ ثَمَنَها فِيما لا طائِلَ مِنْ وَرائِهِ. ولِذَلِكَ نَوَيْتُ أَلَّا أُعْطِيَ جَرَّتي الذَّهَبِيَّةَ واللآلِئَ المَسْحُورَةَ إلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا.. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَكْتَمِلُ فَيها القَمَرُ، أَخْرُجُ عَلَى هَيْئَةِ فَتاةٍ تَتعَرَّضُ لِلْسَرِقَةِ وتَطْلُبُ النَّجْدَةَ، أَوْ عَلَى شَكْلِ عَجُوزٍ مَريضَةٍ، وأَطْلبُ مِنَ النَّاسِ مُساعَدَتِي عَلَى بُلُوغِ

الشَّاطِئِ لِرُؤْيَةِ أميرَةِ «البَحْـرِ الفِضِّيّ». فَمَنْ ساعَـدَني كَانَتْ لَـهُ الجَرَّةُ الذَّهَبِيَّةُ ولآلِئُها المَسْحُورَة».

قـالَ «شَمْس الدِّين» مُتَعَجباً بِشِدَّةٍ: «إِذَنْ فَقَـدْ كُنْتِ أنْتِ العَجُوزَ المِسْكينَةَ، وقَبْلَها كُنْتِ الفَتاةَ الَّتي هَدَّدها اللِّصّان».

أَجابَتْهُ أَميرَةُ «البَحْرِ الفِضِّيّ»: «نَعَمْ أيُّها الشَّابُّ.. وأرَدْتُ أنْ أخْتَبِرَ قُدْرَتَكَ عَلَى فِعْلِ الخَيْرِ. فَعِنْدَما شاهَدْتَني عَلَى هَيْئَةِ الفَتـاةِ الَّتي يَسْرِقُهـا اللِّصّانِ لَمْ تَـطْمَـعْ فِي ٱقْتِسـامِ الحُلِيِّ مَـعَ اللِّصَّيْنِ، وضَرَبْتَهما وأَنْقَـذْتَني مِنْ أيدِيهمـا. وعِنْدَمـا كُنْتُ عَلَى هَيْئَةِ المَرأةِ العَجُوزِ أرَدتُ ٱخْتبارَ قُـدْرَتِكَ عَلَى الاحْتِمـالِ، فَزادَ ثِقْلي فَـوْقَ كَتِفيْـكَ ولَكِنَّـكَ لَم تَتخَـلَّ عَنِّي.. ولَمْ تَضُنَّ عَلَيَّ بِـطَعامِـكَ وشرابِـكَ رُغْمَ حاجَتِـكَ إِلَيْـهِ.. وكُنْتُ أنَـا مَنْ وَضَـعَ الطَّعامَ والفاكِهَةَ والماءَ فِي صُرّتِكَ فِيما بَعْـدُ حَتَّى تَجِدَ مـا تأْكُلُهُ وتَشْرَبُهُ عِنْدَ ٱسْتيقاظِكَ مِن نَوْمِكَ».

سـأَلَهـا «شَمْس الـدِّين»: «وهَـلْ أنْتِ مَنْ أرْسَـلَ السَّفينَـةَ العَظيمَةَ لي»؟

ـ «نَعَمْ. . فَعِنْدما أردتُ أنْ أُكافِئَكَ وَجَدْتُ أنَّ جَرَّتِي الذَّهبيّةَ ولآلِئَها المَسْحُورَةَ لَنْ تُفيدَكَ بِشَيْءٍ، فَلا حَاجَةَ لَكَ بِالذَّهَبِ ولا اللُّؤْلُؤِ المَسْحُورِ. . ولِذَلِكَ أرْسَلْتُ لَكَ سَفينتي المَسْحُورَةَ لِتَعبُرَ بِكَ «البَحْرَ الفِضيّ» فَتُوصِلَكَ إِلَى الشَّاطِئِ الآخَرِ. ولَكِنْ لِسُوءِ الحَظِّ هَبَّتْ عاصِفَةٌ أَغْرَقَتْ سَفينَتي، وكِدْتَ أنْتَ تَغْرقُ أيْضاً، لَوْلا أنْ سارَعَتْ وصيفاتِي لإِنْقاذِكَ».

قالَ «شَمْس الدِّين» مُتَحيِّراً: «ولَكِنِّي لا أَفْهَمُ. . أيْنَ أنَا؟».

أَجابَتْ أَميرَةُ «البَحْرِ الفِضيِّ»: «أنتَ فِي مَمْلَكَتي فِي قَلْبِ «البَحْرِ الفِضيِّ». . هيَّا لِتُشاهِدَها مَعِي. . خُذْ. . هَذَا دواءٌ سَيُتيحُ لَكَ التَنَفُّسَ فِي الماءِ مُدّةَ يَوْمٍ كامِلٍ».

ونَاوَلَتْهُ قِنينَةً صَغيرةً شَرِبَ «شَمْس الدِّين» ما فِيها، فَأَحَسَّ بِنبضاتِ قَلْبِهِ تَزيدُ أو بِأنّهُ صارَ خَفيفاً نَشيطاً. وغادَرَتِ الأَميرَةُ الحُجْرَةَ ومَعَها «شَمْس الدِّين»، وسَبَحا خارِجَ القَصْرِ فِي أَنْحاءِ مَمْلَكَتِها العَظيمةِ فِي الماءِ. فَشاهَدَ «شَمْس الدِّين» عَجَباً، قُصُوراً عَظيمَةً فِي قَلْبِ الماءِ، تَرْتَفِعُ قِبابُها وبُروجُها الذَّهَبيّةُ

كـأنَّها قُصـورٌ سِحريَّـةٌ، وتَخْرُجُ مِنهـا أوْ تَدْخُـلُ فِيهـا سَـاكنـاتُ المَمْلَكـةِ، وكَانَ يُحِيطُ بِـالمَمْلَكـةِ مِن كُـلّ جـانِبٍ سُـورٌ عَـظيمٌ يَحْرُسُهُ عَددٌ كَبيرٌ مِنْ مُحاربات المَمْلَكةِ بِالحِرابِ والسِّهام.

وبَعْدَ أنْ أنْهَى «شَمْس الدِّين» جَوْلَتَهُ عـادَ مع الأَميـرَةِ إلَى قَصْرِها، وكانَتِ الوصيفاتُ قَدْ جَهَّـزنَ الطَّعـامَ للأَميـرَةِ و«شَمْس الدِّين». وكانَ مِنْ مُخْتَلفِ أَنْواعِ الأَسْماكِ، فَتَنـاولاهُ فِي سُرُورٍ. وسأَلَ «شَمْس الدِّين» الأَميرَةَ قائِلاً: «ولَكِنْ ما فائِدَةُ السُّورِ الكَبيرِ الَّـذِي يُحِيطُ بِالمَمْلَكـةِ، ولِماذا تَحْـرُسُـهُ الفَتَيـاتُ المُحـارِبـاتُ بِالسِّهامِ والرِّماح؟».

ظَهَرَ القَلَقُ عَلَى وَجْهِ أَمِيرَةِ «البَحْرِ الفِضِّيّ» وقـالَتْ: «هَذَا بِسَبَبِ أَمِيـرِ «البَحْرِ الأَسْـودِ»: فَهُوَ أمِيـرٌ شِرِّيـرٌ يَعيشُ فِي مَمْلَكةٍ بَعيـدةٍ، وهُوَ دائِمُ التَّهْـديدِ لَنـا ويُـرِيـدُ أَسْـرَنـا والاسْتِيـلاءَ عَلَى مَمْلَكتِنا وخَيْراتِنا، كَما أنّه يَرْغَبُ فِي الـزَّواجِ مِنِّي قَسْراً ولِـذَلِكَ أَقَمْنـا هَـذَا السُّـورَ لِحِمـايَـةِ أنْفُسِنـا مِنْـهُ ومِنْ جُنُـودِهِ، ووَضَعْنـا المُحارِباتِ فَوْقَ السُّورِ لِصَدِّ أيِّ اعْتِداءٍ مِنْ هَذَا الشِّريـرِ وجُنُودِهِ المُتَوحِّشينَ».

دُهِشَ «شَمْس الـدِّين» وقـالَ: «هَـذَا عَجيبٌ، لَمْ أكُـنْ أعْرِفُ أنّ عالَم البَحْرِ مَليءٌ بِٱلشَّرِّ مِثْلَ عَالَمِ البَرِّ. . ولَكِنْ لِمـاذا لا تُغادِرُونَ البَحْرَ وتَعيشُونَ فَوْقَ البَرِّ فَتَنْجونَ مِنْ شَـرِّ هَذَا الأَميـرِ الأَسْودِ؟».

قالَتِ الأَميرَةُ: «إنّنا لا نَسْتَطيعُ ذَلِكَ، فَلَيْسَ بِإِمْكانِنا العَيْشُ فَـوْقَ البَرِّ أكْثَـرَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ وإلّا أُصِبْنَـا بـٱلاخْتِنـاقِ ومُتْنـا فِي الحَال».

وفَجْـأَةً ٱنْدَفَعتْ إِحْـدى الـوَصيفـاتِ صـائِحَـةً فِي خَـوْفٍ عَظيمٍ: «أيّتُها الأَميرَةُ. . إنَّ أَميرَ «البَحْرِ الأَسْودِ» يُهاجِمُ مَمْلَكَتنا بِجيشٍ كَبيرٍ مِنْ جُنُودِهِ، ويُوشِكُ أنْ يُحَطِّمَ أسْوارَنا ويَأْسِرَ جُنُودَنـا لِكثْرَةِ قُواتِهِ وعَتادِه».

هَبَّتْ أَميـرةُ «البَحْـرِ الفِضِّيّ» مَـذْعُـورَةً وهِيَ تَـرْتَجِفُ، وٱمْتلأَتْ عَيْناهـا بِٱلـدُّمُوعِ وقـالَتْ: «ما العَمَـلُ الآنَ؟. . وكَيْفَ السَّبيلُ إِلَى إنْقاذِ مَمْلَكتي وساكِناتِها المُسالِماتِ، وهَزيمـةِ الأَمِيرِ الشِّريرِ؟».

* * *

إِنْـدَفَـعَ «شَمْس الـدِّين» قـائِـلاً: «لا تَحْمِلي هَمًّا أيَّتُهـا الأَميرَةُ. . سَوْفَ أُنازِلُ أَميرَ «البَحْرِ الأَسْوَدِ» وأَتَحَـدَّاهُ، وبِإِذْنِ اللهِ سأَنْتَصِرُ عَلَيْه».

قالَتِ الأَميرَةُ مَفْزُوعةً: «ولَكِنَّـهُ شرِّيـرٌ وماهِـرٌ فِي القِتالِ، وهَزَمَ كُلَّ مَنْ تَحَدُّوهُ مِن قَبْلُ وقَتَلَهُمْ».

قـالَ «شَمْس الـدِّين»: «يَجِبُ أنْ أواجِهَـهُ، ومـا دُمْتُ سأُقاتِلهُ دِفاعاً عَنِ الخَيْرِ، فلا بُدَّ أنْ يَنْصُرَني اللَّه».

وآنْدَفَعَ «شَمْس الدِّين» خارِجاً بَعْدَ أنْ ناوَلَتْهُ أميـرَةُ «البَحْرِ الفِضيِّ» سَيْفَها. وخارِجَ أسْـوارِ المَمْلَكةِ شـاهَدَ «شَمْس الـدِّين» جُمُـوعاً وحُشُـوداً من جُنودِ أميـرِ «البَحْرِ الأَسْـودِ»، وكانُـوا كُلُّهُمْ سُودَ الوُجُوهِ بِهَيْئةٍ مُفْزِعَةٍ، ومُسَلَّحينَ بِآلرِّماحِ والبلَطِ والفُؤُوسِ، ويَبْـدُو عَلَيْهِمْ التَوحش. أمّـا أميرهُمْ فَكـانَ ضَخْمَ الجُثَّةِ شَـديـدَ السَّوادِ، لَهُ عَيْنانِ مُشَوَّهَتانِ قَبيحَتانِ مَليئَتانِ بِآلشَّرِّ، وفي أصابِعِـهِ أظافِرُ طَويلَةٌ قَذِرَةٌ تُمْسِكُ بِحربَةٍ طَويلَةٍ مَسْمُومَةٍ.

صـاحَ «شَمْس الـدِّين» فِي أَميـرِ «البَحْـرِ الأَسْـودِ»: «أَيُّهـا الأَميـرُ الشِّريـرُ. . لَقَدْ جِئْتَ تَبْغي العُـدْوانَ وتُريـدُ إراقَةَ الـدِّماءِ
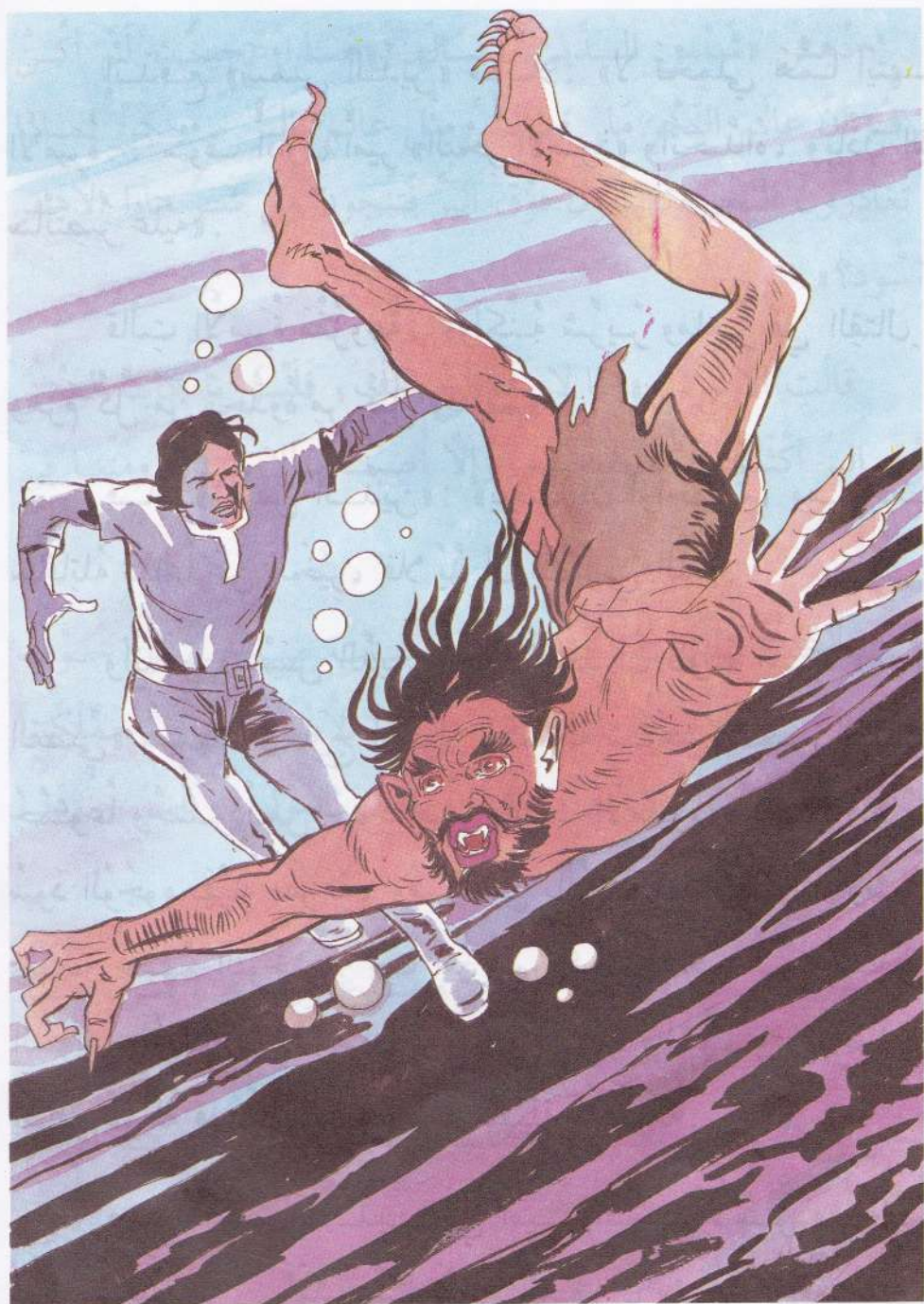
لِتَسْتَولِيَ عَلَى ما لَيْسَ لَكَ. . وإنَّنِي أتَحَدَّاكَ. . فإنْ هَزَمْتَني كانَ لَكَ ما أرَدتَ. . وإنْ هَزَمْتُكَ إنْسَحَبْتَ بِجُنُودِكَ إلَى مَمْلَكَتِكُمْ ولا تَعُودوا لِمُهاجَمتِنا ثانِيةً».

ضَحِكَ أميرُ «البَحْرِ الأَسْوَدِ» ضِحْكَةً مُخيفَةً وقالَ هازِئاً: «وهَلْ أنْتَ مَنْ يَتحدَّاني؟ . . سَوْفَ أقْتُلُكَ بِطَعْنَةٍ واحِدَةٍ مِن رُمْحي، كَما قَتَلْتُ المِئاتَ غَيْرَكَ».

وانْدَفَعَ نَحْوَ «شَمْس الدِّين» شاهِراً رُمْحَهُ، فَلاقاهُ «شَمْس الدِّين» بِسَيْفِهِ فِي شَجاعَةٍ، وبَدَأَ النِزَال. .

وكانَتِ المَعْرَكَةُ حامِيَةً، وبِرُغْمِ مَهارَةِ «شَمْس الدِّين» فِي القِتالِ وتَعَلُّمِهِ كُلَّ فُنُونِهِ عَنْ والِدِهِ «الفارِسِ العَظيمِ»، فَقَدْ كانَ أميرُ «البَحْرِ الأَسْودِ» ماهِراً أيْضاً، وقَدْ أكْسَبَتْهُ الحُرُوبُ الكَثيرَةُ الَّتي خاضَها مِنْ قَبْلُ شَراسَةً وغِلْظَةً. .

وبِضَرْبَةٍ بارِعَةٍ أطاحَ «شَمْس الدِّين» بِحَرْبَةِ أميرِ «البَحْرِ الأَسْودِ»، ووَجَّهَ سَيْفَهُ إلَى رَقَبَةِ الأميرِ الشِّريرِ وقالَ لَهُ: «والآنَ. . هَلْ تأْمُرُ جُنُودَكَ بِالعَوْدَةِ إلَى مَمْلَكَتِكَ أم أقْتُلُكَ؟».

قالَ أَميرُ البَحْرِ الأَسْودِ فِي فَزَعٍ : «سآمرُهمْ بِٱلانْسحابِ. . أرْجُوكَ لا تَقْتُلْنِي».

خَفَضَ «شَمْس الدِّين» سَيْفَهُ وَقَدْ صَدَّق الأَميرَ الشِّريرَ، ولَكِنَّ أميرَ «البَحْرِ الأَسْودِ» ٱسْتلَّ خنْجَراً كانَ يُخْفيهِ فِي مَلابِسهِ، وهَجَمَ عَلَى «شَمْس الدِّين» يَبْغِي قَتْلَهُ. وقَبْلَ أنْ يَطْعَنَهُ فِي قَلْبِهِ صاحَتْ أميرَةُ «البَحْرِ الفِضيّ» تُحَذِّرُ «شَمْس الدِّين»، فَتحاشَى ضَربَةَ الخنْجرِ بِسُرْعَةٍ، وطعَنَ أميرَ البَحْرِ الأَسْودِ فِي قَلْبِهِ بِسَيفِهِ. وسَقَطَ الأَميرُ الشِّريرُ مَيِّتاً جَزاءَ غَدْرِهِ وخِيانَتِهِ. . وصاحَ «شَمْس الدِّين» صَيْحَةَ فَوْزٍ وٱنْتِصارٍ، فَتَراجعَ جُنُودُ الأَميرِ الشّريرِ خائِفينَ بِسَبَبِ مَقْتَلِ قائِدِهم، وٱضْطَرَبَتْ صُفُوفُهُمْ، وأَصَابَهُم الذُّعْرُ والرُّعْبُ، فٱنقَضَّتْ عَلَيْهِم مُحارِباتُ أميرَةِ «البَحْرِ الفِضيّ»، وقَدِ ٱسْتَغَلَّتْ ٱضْطِرابَهُمْ وفَزَعَهُمْ، فأَلْحقْنَ بِهِمْ هَزيمَةً شَنْعاءَ، وَقَتَلْنَ مِن الأَشْرارِ مَنْ قَتَلْنَ وَأَسَرْنَ مَن أَسَرْنَ. .

وكانَتْ نَتيجَةُ المَعْركَةِ ٱنْتِصاراً باهِراً لأَمِيرَةِ «البَحْرِ الفِضِّيّ» ومُحارِباتِها، بَعْدَ أنْ تَخَلَّصنَ مِنْ شَرِّ أَميرِ «البَحْرِ الأَسْودِ» الشِّريرِ إِلَى الأَبَد. وقالَتِ الأَميرَةُ «لِشَمْس الدِّين» فِي

سَعادَةٍ وعِرْفانٍ بِٱلجَميـلِ : «لا أَدْري كَيْفَ أشْكُرُكَ أيُّهـا الفارِسُ الشُّجاعُ، لَقَدْ أنْقَذْتَ مَمْلَكَتنا ونَحْنُ نَدِينُ لَكَ بِٱلشُّكْرِ والنَّصْر».

أَحَسَّ «شَمْس الدِّين» بِٱلسَّعـادَةِ لِشُكْرِ الأَميـرَةِ لَهُ، وخَفَقَ قَلْبُـهُ بِحُبِّهـا فِي نَفْسِ اللَّحْـظَةِ، وبـانَ فِي عَيْنَي الأَمِيـرَةِ حُبُّهـا «لِشَمْس الدِّين» أيْضاً. . ومالَ قَلْبُها إِلَيْه.

وقـالَ «شَمْس الـدِّين» لأَمِيـرَةِ «البَحْـرِ الفِضيّ»: «أَيَّتُهـا الأَميرَةُ الجَميلَةُ. . إنَّني أعْرِضُ عَلَيْـكِ الزّواجَ والعَيشَ فَـوْقَ البَرِّ بَقِيَّةَ عُمْرِنا. فَماذا تَقُولِين؟».

ٱمْتَـلأَتْ عَيْنـا الأَميـرَةِ بِـٱلـدُّمُـوعِ وقـالَتْ: «لَيْتَ كـان بِـٱسْتِطاعَتي المُـوافَقَـةُ عَلَى طَلَبِـكَ، ولَكِنْ جِنْسُنـا لا يَسْتَـطيـعُ العَيْشَ فَـوْقَ البَرِّ أكْثَـرَ مِنْ نِصْفَ يَوْمٍ . . كَمـا أنَّكَ لَنْ تَسْتَـطيعَ البَقـاء بَيْنَنا أكْثَـرَ مِنْ أيّامٍ قَـلائِـلَ، ويَتَحتَّمُ عَلَيْـكَ الصُّعُـودُ إِلَى الأَرْضِ وإلاّ أصابَكَ الاخْتِناقُ، مَهْما تناوَلْتَ مِنْ دَواءٍ».

قالَ «شَمْس الدِّين» فِي حَيْرَةٍ وأَلَمٍ : «وما العَمَلُ الآنَ؟ . . لا يُمْكِنُني أنْ أتَخَلَّى عَنْكِ».

فَكَّرَتِ الأَميرَةُ لَحْظَةً، وأشْرَقَتْ عَيْناها بِٱلأَمَلِ وقالَتْ: إنَّ هُناكَ سَبيلاً وَحِيداً لِتَحْقيقِ رَغْبَتِنا. . فَهُنـاكَ «زَنْبقَةٌ سَـوْداءُ» تَنْبُتُ فِي أَحَـدِ الكُهُوفِ البَحْـرِيَّةِ البَعيـدَةِ، يَحْرِسُهـا تِنِّينٌ هائِـلٌ يَنْفُثُ النَّارَ مِن أنْفِهِ وفَمِهِ، فإذا اسْتَطَعْتُ الحُصُولَ عَلَى هَـذِهِ «الزَنْبَقَـةِ النَّادِرةِ» وخَلَطْتُها مَع إحْدى لآلئِي السِّحْرِيّةِ وشَرِبْتُ عَصيرَهُمـا، أمْكَنَنِي العَيْشُ فَوْقَ الأَرْضِ بِلاَ سُوءٍ بَقِيّةَ عُمْري».

إبْتَهَجَ «شَمْس الدِّين»، وعادَ الأَملُ إلَيْـهِ مِنْ جَديـدٍ وقالَ: «سَوْفَ أَحْصُلُ عَلَى هَذِهِ «الزنْبَقَـةِ السَّوْداءِ» بِـإذْنِ اللهِ، وسأَنْجُـو مِن شَرِّ التّنينِ الَّذِي يَحْرسُها».

خَـافَتِ الأَميرَةُ وقـالَتْ: «إنّهـا رِحْلَةٌ خَـطِرَةٌ، وقَـدْ يَقْضي التّنينُ عَلَيْكَ فَتَكُونُ الخسارةُ الكُبْرى».

طَمـأَنَها «شَمْس الـدِّين»، وٱنْطَلَق لِسـاعَتِـهِ صَـوْبَ كَهْفِ التّنينِ، الَّذِي دَلَّتْهُ عَلَى مَكانِهِ أميرَتُهُ المَحْبُوبَة.

وكـانَ الكَهْفُ عَميقاً واسِعـاً، يَسُدُّ مَـدْخَلهُ التِّنينُ الهـائِـلُ الحَجْمِ، وكـانَ بِـطُولِ النَّخْلَةِ وحَجْمِ التلَّةِ: رَأْسُـهُ مُفْـزِعَــةُ

الشَّكْـلِ ، بِها عَيْنـانِ واسِعتانِ، ورَقْبَتُـهُ طُـولُهـا أكْثَـرُ مِن عَشْـرَةِ أمْتارٍ. . وجَسَدُهُ مُغَطىً بِٱلحَراشيفِ الخَضْراءِ الصَّلْبة.

إقْتَـرَبَ «شَمْس الـدِّين» مُتَسلِّلاً مِن كَهْفِ التّنينِ، مُحـاوِلاً دُخُـولَـه بِغَيْـرِ أنْ يَحُسَّ بِـهِ. ولَكِنَّ التّنينَ إسْتَيْقَظَ مِنْ سُبـاتِـهِ، وعِنْدَما شـاهَدَ «شَمْس الـدِّين» نَفَثَ النّارَ نَحْـوَهُ، فَسَبَحَ «شَمْس الـدِّين» مُبْتَعِداً قَبْـلَ أن يَطُولَـهُ اللَّهَبُ. . وكُلَّما حـاوَلَ الاقْتِرابَ عاوَدَ التّنينُ نَفْثَ النّارِ نَحْوَهُ حَتَّى كادَ يُحْرِقُهُ.

فَكَّرَ «شَمْس الدِّين» لَحْظَةً، ثُمَّ ٱهْتَدىٰ إلَى فِكْـرَةٍ: فَسَبَحَ نَحْوَ حَبَارٍ كَبيرٍ كانَ يَرْقُدُ نائِماً غَيْرَ بَعيدٍ، فَطَعَنَهُ بِحـربَتِهِ فِي قَلْبِـهِ فَماتَ الحبارُ لِساعَتِهِ. فَٱنْتَزَعَ «شَمْس الدِّين» مِنه غُدَّتَهُ الَّتي تَفْرِزُ الحِبْـرَ الأَسْوَدَ، وعـادَ بِها إلَى كَهْفِ التّنينِ وألْقـاهـا فِي وَجْهِـهِ، فَٱنْتَشَرتْ مِنْها سَحابَةُ حِبْرٍ سَوْداءُ أمامَ عَيْنَيْـهِ فَلَمْ يَعُدْ يُشـاهِدُ مـا أمـامَهُ. . وٱنْتَهَـزَ «شَمْس الدِّين» فُـرْصَةَ ٱضْـطِرابِ وحَيْرَةِ التّنينِ الضَّخمِ ، وسَبَـحَ داخِـلاً إلَى الكَهْفِ. . وفِي نِهـايَتِـهِ شـاهَـدَ «الزنْبَقَةَ السَّوْداءَ» النَّادِرَة فَٱنْتَزَعَها بِرِفْقٍ، وغـادَرَ الكَهْفَ بِدُونِ أن يحسَّ بِهِ التّنينُ أو يَراهُ.

وعـادَ «شَمْس الدِّين» «بِـآلزنْبَقَـةِ السّوداءِ» إلَى مَحْبُـوبَتِـهِ، فلَمّا شاهَدَتْهُ الأَميرَةُ بَكَتْ لِشِدَّةِ فَرْحَتِها بِنَجـاةِ «شَمْس الدِّين»، وعَوْدَتِهِ «بِآلزنْبَقَةِ السَّوداء».

وفي الحَالِ أَذابَتِ الأَميرَةُ لُؤْلُؤَةً مِنْ لآلِئِهـا المَسْحُورَةِ مَـعَ «الزنْبَقَةِ السَّوداءِ» فِي كأْسٍ، وشَرِبَتِ المَزيجَ فَشعرتْ بـآنْتِعاشٍ غَريبٍ.

وقالَتِ الأَميرَةُ بـآبْتِهاجٍ: «الآنَ صِـرْتُ قادِرَةً على العَيْشِ فَـوْقَ الأَرْضِ كـأيِّ إنْســانٍ». وودَّعَتْ أميـرَةُ «البَحْـرِ الفِضيّ» رَفيقاتِها بَعْدَ أنِ آطْمأَنّتْ إلَى أنَّهُنَّ سَيَعِشْنَ فِي أَمـانٍ بَعْدَ هَـزيمَةِ أميرِ «البَحْرِ الأَسْوَدِ» وجُنُودِهِ، ووعَـدتْهُنَّ أن تَقُومَ بِـزِيارَتِهِنَّ كُـلَّ فَتْرَةٍ. كَما وَعَدَتْها رَفيقاتُها ووَصيفاتُها ومُحارِباتُها بأنْ يَـزُرْنَها بَيْنَ الحينِ والآخَرِ، بِشَرْطِ أن تُقيمَ قَرِيباً مِن الشَّاطِئِ، حَتَّى يَتمَكنَّ مِنْ زِيارَتِها والعَوْدَةِ إلَى البَحْرِ قَبْلَ آنْقِضاءِ نِصْفِ يَوْمٍ، وحَتَّى لا يُصِبْنَ بِآلاخْتِناقِ إذا بَقِينَ طَوِيلاً خارِجَ الماء.

وحَمَلتْ أَميـرَةُ «البَحْرِ الفِضيِّ» مَعَهـا سِـلالاً مِنَ الـلآلِئِ والجَواهِرِ، وصَعِدَتْ إلَى الشَّاطِئِ مَـع «شَمْس الدِّين»، فـآبْتَنَيا

قَصْراً عَظيماً قَريباً مِن الشَّاطِئِ ، وعاشا مَعاً فِي سُرُورٍ وهَنـاءٍ . . وبَيْنَ الحِينِ والحِينِ كانَتِ الأَميرَةُ تَشْتـاقُ لِرَفِيقـاتِها مِنْ سـاكِناتِ البَحْـرِ فَتَهْبِطُ إِلَيْهِنَّ وَقْتـاً قَليـلاً . . أَوْ يَصْعَـدْنَ هُنَّ إِلَيْهـا لِـوَقْتٍ مُحَدَّدٍ .

وعِنْـدَمـا يَكْتَمِـلُ القَمَـرُ فِي كُـلِّ شَهْـرٍ، تَخْـرُجُ الأَميـرَةُ و«شَمْس الدِّين» مِن قَصْرِهمـا قَبْل الفَجْـرِ ويَبْحثانِ عَمّن يَسْتَحِقُّ مُساعَدَتهُما وهَدِيَّتهُمـا، فَيَمْنَحانَـهُ الخَيْرَ الـوَفيرَ، بَعْـدَ أن يَخْتَبرا أَخْلاقَهُ وشَهامَتَهُ، عِنْدَما يَتظاهَرانِ بِأَنَّهُما عَجُوزانِ فِي حاجَـةٍ إِلَى المَعُـونَة . أمّـا مَنْ كانَ يَـرْفُضُ مُساعَـدَتَهمـا وتَقْـديمَ يَـدِ العَـوْنِ إِلَيْهما، ويُسْرِعُ إِلَى الشَّاطِئِ لِيَكُونَ أولَ مَن يَحْظَى بِرُؤْيَـةِ أَميرَةِ البَحْـرِ، فَكانَ يَعُـودُ كَسِيفاً بِـدُونِ أن يَحْصـلَ عَلَى شَيْءٍ، وهُـوَ يَجْهَلُ أنّهُ لَمْ يَحصلْ عَلَى الخَيْرِ، لأنّه لَمْ يُقدِّمِ الخَيْرَ أوّلاً .

* * *

أميرة البحر الفضي

أسئلـــة :

١ ـ ما هي النصيحة التي قدَّمها الوالد لابنه قبل مماته؟

٢ ـ لماذا يسرع الناس نحو شاطىء البحر؟

٣ ـ ما هي المساعدات والتضحيات التي قام بها شمس الدين في طريقه؟ وكيف تصرَّف أمام كل حادث؟

٤ ـ أين وجد شمس الدين نفسه عند غرق السفينة؟

٥ ـ ما كان هدف أميرة البحر الفضي؟ ولماذا لم تعطي الجرة لشمس الدين؟

٦ ـ ما هو الخطر الذي يحيط بمملكة أميرة البحر الفضي؟

٧ ـ هل استطاع شمس الدين إزالة هذا الخطر؟ ولماذا؟

٨ ـ مَنْ يحصل على الخير؟

تفسير الكلمات التالية :

شراسة ـ إراقة ـ سبات .

إعــــراب :

ـ إنطلقَ لساعتِه صوبَ كهفِ التنينِ .

ـ توسَّطتِ الشمسُ قَلبَ السماءِ .

مكتبة الطفل العربي

٥

أميرَةُ البَحْرِ الفِضّيّ

● كان الفتى شمسُ الدين فارساً مِغْواراً، وإنساناً نبيلاً ذا خلقٍ، عندما طلبتْ منه امرأةٌ عجوزٌ أن يساعدَها في بلوغ شاطئِ البحرِ الفضيّ، عَسى أن تكون هديّةُ أميرةِ هذا البحرِ من نصيبِها. فلم يرفضْ مساعدتَها، وتعرض إلى مشاقٍ بالغةٍ في سبيلِ ذلك، فكانت هديةُ أميرةِ البحرِ الفضيّ من نصيبه وحده.. فكيف حدَث هذا؟

دار الجيل